

رسالة في
الحث على اجتماع كلمة المسلمين
وعدم التفرق والاختلاف

نألف

الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر بن عوي

(١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ)

رحمه الله

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد العزيز بن عفي

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً

تحقيق

عبد الله بن زيد بن عسامة

دار التوجيه والنشر

ح) دار التوحيد : ١٤٢٨ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر

رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق. /

عبدالرحمن بن ناصر السعدي؛ عبدالله زيد آل مسلم. - الرياض، ١٤٢٨ هـ.

٤٨ ص ، ١٤،٥ X ٢١،٥ سم

ردمك : ٦-٨١٨-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨

١ - الثقافة الإسلامية

أ . آل مسلم، عبدالله زيد (محقق) ب . العنوان

١٤٢٨ / ٧٥٧٨

ديوي ٢٥١

رقم الإيداع : ١٤٢٨ / ٧٥٧٨

ردمك : ٦-٨١٨-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض ، ص . ب ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ - فاكس ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

البريد الإلكتروني : E-mail: dar.attawheed.pub.sa@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الله بن عبد العزيز بن عقیل العقیل

التاريخ ١٤٢٨/١٢/٢ هـ

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم ، أما بعد :

فلا تزال قوائد شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تتجدد حتى بعد وفاته ، وذلك مما يخرج بين الفينة والأخرى من رسائله وكتبه المحتوية على القوائد الثمينة والنصائح السديدة ، وكان رحمه الله نعم المعلم الناصح والمربي الصالح .

وها هو في هذه الرسالة ، المتعة الصغيرة في محتواها ، الفزيرة في معناها ، يوجه النصيحة لعلماء المسلمين وعوامهم أن تتفق كلمتهم ، وتجتمع قلوبهم ، معتصمين بحبل الله جميعا ، ومحذراً لهم من الفرقة والاختلاف المؤدي إلى التشاحن والقطيعة والبغضاء .

وقد بين رحمه الله مكانة العلماء العاملين في الأمة الإسلامية وحاجة المسلمين لهم وماذا يجب على الناس تجاههم من المحبة والتقدير ومعركة حقهم وتريلهم المنزلة اللائقة بهم ، ولم ينس رحمه الله توجيه النصح لطلاب العلم وتحذيرهم من الأخلاق الرديئة والصفات الذميمة وغير ذلك من القوائد المثورة في شايها هذه الرسالة .

وقد اعتنى فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد بن مسلم آل مسلم بهذه الرسالة مقابلة وتحقيقاً مع ضم حواشي مفيدة ضمنها كلاماً للمؤلف ، استخلصه من كتب له أخرى يتعلق بموضوعها ، فجزاه الله خيراً على عنايته بهذه الرسالة .

وإني أوصي إخواني وأبنائي الطلاب وعموم المسلمين بقراءة هذه الرسالة والاستفادة مما تضمنته من تلك النصائح والتوجيهات ، داعياً الله تعالى أن ينفع بها من كتبها أو قرأها أو سمعها أو استفاد منها ، وكتبه الفقير إلى الله - عبد الله بن عبد العزيز بن عقیل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً - حامداً لله مصلحاً مسلماً على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين



نقد

فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد العزيز بن عجيل

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم، أما بعد:

فلا تزال فوائد شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تتجدد حتى بعد وفاته، وذلك مما يخرج بين الفينة والأخرى من رسائله وكتبه المحتوية على الفوائد الثمينة والنصائح السديدة، وكان رحمه الله نعم المعلم الناصح والمربي الصالح.

وما هو في هذه الرسالة، الممتعة الصغيرة في محتواها، الغزيرة في معناها، يوجّه النصيحة لعلماء المسلمين وعوامهم أن تتفق كلمتهم، وتجتمع قلوبهم، معتصمين بحبل الله جميعاً، ومخذراً لهم من الفرقة والاختلاف المؤدي إلى التشاحن والقطيعة والبغضاء.

وقد بين رحمه الله مكانة العلماء العاملين في الأمة الإسلامية وحاجة المسلمين لهم وماذا يجب على الناس تجاههم من المحبة والتقدير ومعرفة حقهم وتنزيلهم المنزلة اللائقة بهم، ولم ينس رحمه

الله توجيه النصح لطلاب العلم وتحذيرهم من الأخلاق الرديئة والصفات الذميمة وغير ذلك من الفوائد المنشورة في ثانيا هذه الرسالة.

وقد اعتنى فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد بن مسلم آل مسلم بهذه الرسالة مقابلة وتحقيقاً مع ضم حواشي مفيدة ضمّنها كلاماً للمؤلف، استخلصه من كتب له أخرى يتعلق بموضوعها، فجزاه الله خيراً على عنايته بهذه الرسالة.

وإني أوصي إخواني وأبنائي الطلاب وعموم المسلمين بقراءة هذه الرسالة والاستفادة مما تضمنته من تلك النصائح والتوجيهات داعياً الله تعالى أن ينفع بها من كتبها أو قرأها أو سمعها أو استفاد منها، وكتبه الفقير إلى الله عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً حامداً لله مصلحاً مسلماً على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً أما بعد:

فهذه درة نفيسة ورسالة فريدة^(١) سطرها يراع الشيخ الفقيه المفسر عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى موجّهاً النصيحة فيها لعموم الأمة وحاتاً لها على اجتماع كلمتها ومحدراً لها من التفريق والاختلاف المؤدي إلى التشاحن والبغضاء.

والأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى ائتلافها واجتماع شملها ورأب صدعها مبتعدة كل البعد عن الحزبيات والتراشق

(١) أمدني بصورة منها فضيلة الشيخ عبداللطيف بن عبدالله الدوسري جزاه الله

خيراً وشكر سعيه وغفر الله له ولوالديه.

بالكلمات واتهام النيات ما دام أن الجميع تحت مظلة أهل السنة والجماعة يقفون أثر سلف الأمة أهل القرون المفضلة، يتبعون ولا يبتدعون.

وأحسب أن الشيخ عبدالرحمن رحمه الله وهو المتوفى عام ١٣٧٦ هـ قد وضع النقاط على الحروف في هذه الرسالة، فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الأجر والثوبة، فقامت بالاعتناء بها ونشرها ليعم نفعها بتوفيق من الله عز وجل^(١).

والله أسأل الإخلاص في القول والعمل والتوفيق والسداد.
وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب

عبدالله بن زيد بن مسلم آل مسلم

١ / جمادى الأولى / ١٤٢٨ هـ

الرياض

(١) قلت: قد قرأت هذه الرسالة على فضيلة شيخنا العلامة عبدالله بن عبدالعزيز بن عجيل حفظه الله ورعاه بعد مغرب يوم الجمعة الموافق ٢٨ / ٦ / ١٤٢٨ هـ بحضور فضيلة شيخنا الدكتور علي بن إبراهيم القصير حفظه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين وعليه توكل
 الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآل وصحبه أجمعين أما بعد فإن الله
 خلق خلقه من العدم وأوجدهم بعد أن لم يكونوا شيئاً ثم كثر الرعية ووجد
 الاستعانة له ويطيعوه ويتقون ومدار ذكره ومجمع على أداء حقوقه وحقوق عباده
 اللازمة والمستحبة التي شرعها في كتابه وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي شعب كثيرة
 وأقسام فمنها ما هو أصول ومنها ما هو أحكام ومنها ما هو قواعد وكلية تندرج تحتها
 كثير من الأحكام الجزئية ومنها ما هو فاضل ومطالب ومنها ما هو موصول لله
 وكلها ترجع إلى تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فمن أعظم
 الأولويات والآليات والشرائع السماوية والوصايا النبوية الاعتصام بحبل الله المتين
 واتفاق كلمة المسلمين واجتماعهم واستئذانهم والجموع على هذا الطريق من أجل
 والأقوال والتفريق على ذلك قولاً وفعلًا والفرق عن التفرق والاختلاف
 وتشتيت شمل المسلمين والذبح عن جميع أطراف المصلحة التي تجلب القدر والامكان
 وقد دل على هذا الأصل العظيم الكتاب والسنة واجماع الأنبياء والمرسلين وأئمتنا
 الأئمة الذين قالوا بأمجادهم بالتسليم بحبل الله الذي هو دينه والاختلاف عليه
 فاهية لهم عن التفرقة إلا اختلافاً مختصاً بغيرها بغيره بقضية لهم لذلك ما
 الذي آمنوا به الله سبحانه فتأله ولا يمتد من إلا فأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله
 جميعاً ولا تفرقوا وإن كنوا فرقة واحدة عليكم إذا كنتم أعداء فالله يجمع قلوبكم فاصبروا
 نبيهم لخوانا الآية وقال تعالى فاهية عن التفرقة والاختلاف بحبل الله المتين
 وعدم التفرقة مع الأعداء ولا تنازعوا في الدين فاصبروا وقل الله يجمع قلوبكم فاصبروا

مطارد صوره بما يرون انه معارضه لفقده تدرج به في صوره و صار له ملكة تدنيه على
 ذلك بحيث لا يملك بالعارضه من صغير وكبير بل قد تراه يقبل القدر في الملا
 جازاته ثم يظهر له عكس ما جزم به فيسببه عنده فيحار ولا يقدري بل يقصده
 الوصول الى الحق والتقصي للخلق وحده حاله ثم يصل اليه الهدى الى هذا الحق الذي
 لا يلقاه الا ذو حظ عظيم ومنها ان المعلم اذا ذهب للتعليم على
 هذه الطريقة احسنه او خسرانها فيكون احسنه احوار سببا لاستمراره
 احوال فيها تعلم منهم وتربى بهم لانهم يريدون على ما تروى عليه فيحصل له من
 الخير ما لا يعلمه الا الله وفيها انه يعرف بذلك مراتبهم فانه يميز بين
 في المتخصص ومعرفة مراتب الناس فمنهم الامور خصوص صافيه الذنوب فيهم
 فانه يحتاج بل ويضطر الى ذلك لاجل علمه فيهم لان علمه لا يتم الا بتبنيهم
 فانزلهم واعطاو كل واحد ما يستحقه ومنها ان ذلك يوجب الثقة بقوله
 لان من وقف لهذه الحاله وقف للمصداق والعامة سدد على نفسه هذا الباب فقه
 حمله على غاية احرمان في العلم والعلم والشاير واكثر العظم بسبب
 الخلق الذي يؤثر ما يؤثر في التعليم وفله النتائج وعدم التصديق
 التي في اس التعليم بل اس كل علم والاعجاب بالنفس وعدم الثقة بقوله
 وغير ذلك منسبا الى الله تعالى فيفتايقنا على الصواب ويصرفنا عنه كل
 من يتم الكتاب واحمد الله على ما عقلمه الفقير الى الله عبد الله الرحمن ابن ناصر
 ابن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين اللهم صل على محمد

١٣٤
 ١٣٤
 ١٣٤

**نص
الرسالة
المحقق**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعين وعليه أتوكل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله

وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الله تعالى خلق خلقه من العدم وأوجدهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ليعبدوه وحده لا شريك له ويطيعوه ويتقوه ومدار ذكره ومرجعه على أداء حقوقه وحقوق عباده اللازمة والمستحبة التي شرعها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وهي شعب كثيرة وأقسام، فمنها ما هو أصول، ومنها ما هو أحكام، ومنها ما هو قواعد كُليّة تندرج تحت كثير من الأحكام الجزئية، ومنها مقاصد ومطالب ، ومنها ما هو موصل إليها، وكلها ترجع إلى تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها^(١).

(١) قال ابن القيم رحمه الله في (إعلام الموقعين) (٣/٣) «...فإن الشريعة مبناهـا

وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها،=

فمن أعظم الأوامر الإلهية والشرائع السماوية والوصايا النبوية الاعتصام بحبل الله جميعاً ، واتفاق كلمة المسلمين واجتماعهم وائتلافهم ، والحث على هذا بكل طريق موصل إليه من الأعمال والأقوال ، والتعاون على ذلك قولاً وفعلاً ، والنهي عن التفرق والاختلاف وتشيت شمل المسلمين ، والزجر عن جميع الطرق الموصلة إليه بحسب القدرة والإمكان ، وقد دل على هذا الأصل العظيم الكتاب والسنة وإجماع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين ، قال تعالى آمراً عباده بالتمسك بحبله الذي هو دينه والاجتماع عليه ناهياً لهم عن التفرق والاختلاف ممتناً على عباده بتوقيفه لهم لذلك : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ

=ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها».

بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣] الآية، وقال تعالى ناهياً عن التنازع والاختلاف مخبراً أنه سبب للفشل وعدم النصر على الأعداء: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَفْئِسْئَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] وقال مذكراً عبادته بنعمته التي لا يقدر عليها إلا العزيز الحكيم: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبُهُمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] الآية، وقال ذاماً المنافقين بتباغضهم وتفرق قلوبهم، ولو اجتمعت أجسامهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]، وقال جلّ جلاله ممثلاً على رسوله بليته للمخالطين الداعي لتأليفهم واجتماعهم وعدم تفرقهم ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِمْ لَبِثَ أَجَلٌ مَقْصُودٌ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية، ووصف الله المؤمنين بأنهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ووصف رسوله بأنه ﴿رَسُولٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة: ١٢٨]، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، ومن أعظم البر السعي في جمع كلمة المسلمين واتفاقهم بكل طريق، كما أن السعي في تفريق كلمة المسلمين من أعظم التعاون على الإثم والعدوان.

وقد قص الله علينا في كتابه سيرة الرسل الذين بعثهم لتبليغ رسالاته وذكر نصحهم لأنهم وحرصهم على اجتماعهم على الإسلام ونهيمهم (عن) ^(١) التفرق والاختلاف مما هو كثير في القرآن. وكذلك النبي ﷺ قد أبدى في هذا الأصل وأعاد، وأمر باجتماع العباد ونهى عن التفرق المفضي إلى الفساد، فقال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباعضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه» ^(٢) وفي صحيح مسلم عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدين النصيحة» قلنا: لمن يا رسول الله: «قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» ^(٣) ^(٤).

ومن أعظم النصيحة للمسلمين السعي في تأليف قلوبهم

(١) في الأصل (وعن).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٤٨) ومسلم (٤٦٥٠) واللفظ له .

(٣) أخرجه مسلم (٨٢).

(٤) قال ابن الصلاح في النصيحة: «إنها كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح

له بوجوه الخير إرادة وفعلًا» انظر: جامع العلوم والحكم (١/٢٢٢).

واجتماعهم ونهيمهم عن التفرق، وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه
للأنصار منبهاً لهم بمنة الله عليهم بهدایتهم واجتماعهم وغناهم
بسببه: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي متفرقين
فجمعكم الله بي عالة فأغناكم الله بي»^(١) كلما قال شيئاً قالوا الله
ورسوله آمن، وقال النبي ﷺ محذراً لأصحابه عن تبليغه الكلام المغير
للقلوب: «لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم
وأنا سليم الصدر»^(٢)، وقال لما شاوره بعض أصحابه في قتل بعض
المنافقين: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(٣) أي لما فيه من
التنفير عن الإسلام لمن لم يسلم، فتركهم وهم مستحقون للقتل
تأليفاً. وكان ﷺ يوصي من يبعثه للدعاية لدين الإسلام وتعليم
الشرائع فيقول: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا وتطاعوا ولا
تختلفوا»^(٤)

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٥) ومسلم (١٧٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣٥٧١) وأبو داود (٤٢١٨) والترمذي (٣٨٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٥٧) (٤٥٢٥) ومسلم (١٧٦١) (٤٦٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (٣٢٦٢) وأبو داود (٤١٩٥) بدون زيادة «وتطاعوا ولا تختلفوا» =

وقال: «ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»^(١). فأخبر أن الاختلاف الظاهر سبب لاختلاف الباطن، وقال ﷺ: «إنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»^(٢)، وكل هذه الأحاديث في الصحيح، وتواتر عنه ﷺ النهي عن الخروج على ولاة الأمور والسمع والطاعة لهم، وإن ظلموا وعصوا^(٣)، وما ذاك إلا لما

= وأخرجه أحمد (١٨٨٦٨) باللفظ أعلاه.

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤) والترمذي (٢١١) والنسائي (٧٩٨) وأبو داود (٥٦٨) وابن ماجه (٩٦٦) وأحمد (٤١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٤٤) ومسلم (٤٣٤٨) واللفظ له .

(٣) أخرج البخاري (٦٦١١) ومسلم (٣٤٢٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

وأخرج البخاري (٦٦٠٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «اسمعوا واطيعوا وإن أستمع عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة».

وأخرج البخاري (٦٥٣٠) ومسلم (٣٤٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى من أميره شئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شيراً، مات ميتة جاهلية».

في الخروج عليهم من الشر العظيم.

وقد أمر الله ورسوله باجتماع المسلمين في كثير من العبادات كالحج والأعياد والجمعة والجماعة لما في اجتماعهم من التواد والتواصل وعدم التقاطع، ونهى الله ورسوله عن الغيبة والنميمة والسعاية والتقاطع والخيانة والحسد والحقد ونحوها لما فيها من الفساد وتشتت العباد، وأمر بالإصلاح بين الناس بكل طريق حتى أنه أباح الكذب المتوصل به للإصلاح لما فيه من الصلاح^(١).

وبالجمله فمن تأمل سيرة الرسول ﷺ في معاملاته للخلق مسلمهم وكافرهم قريهم وبعيدهم من لين الجانب والسماحة التامة والخلق العظيم بالعفو عن أهل الجرائم^(٢) وتأليف الخلق للدخول في

= وأخرج مسلم (٣٤٣٣) عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلُوا وعليكم ما حُمِّلْتُمْ».

(١) أخرج الترمذي (١٨٦١) وأبوداود (٤٢٧٤) وأحمد (٢٦٠١٠) عن أم كلثوم

بنت عتبة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس بالكاذب من أصلح بين

الناس فقال خيرًا أو نَمَى خيرًا» واللفظ للترمذي قال رحمه الله: حسن صحيح.

(٢) مثال ذلك عفوه ﷺ عن أهل مكة عام الفتح وقوله ﷺ: «اذهبوا فأنتم=

دين الإسلام وإعطاء المؤلف قلوبهم ليسلموا ويقوى إيمانهم^(١) وتركه كلما فيه تنفير حتى أنه ﷺ يترك الأفضل الأكمل ويفعل ما دونه مراعاة لقلوب الخلق، وقد كان همّ في بنيان الكعبة على قواعد إبراهيم فقال لعائشة: «لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية لنقضت الكعبة وجعلتها على قواعد إبراهيم»^(٢) ^(٣).

=الطلاق» انظر: البداية والنهاية (٤/٦٩٦) ط. دار المعرفة، قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٣/٤٩٧): «ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما يُنفّرهم عن الدخول في طاعته، وهذا أمر كان يختص بحال حياته ﷺ وكذلك ترك قتل من طعن عليه في حكمه بقوله في قصة الزبير وخصمه: «أن كان ابن عمك» اهـ.

قلت: قصة الزبير وخصمه أخرجه البخاري (٤٥٨٥) ومسلم (٢٣٥٧).

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١) في إعطاء النبي ﷺ المؤلف قلوبهم.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٣) ومسلم (٢٣٦٩).

(٣) قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢٢/٤٠٧): «ويستحب للرجل أن يقصد

إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات، لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا- الكلام على الجهر بالبسملة أو يسرّها - كما ترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت، لما في إبقائه من تأليف القلوب».

فمن تأمل هذا عرف أنه ﷺ بعث بالحنيفية السمحة^(١)، فإذا علمت ذلك عرفت أن من أهم قواعد الدين وأجل شرائع المرسلين النصيحة لكافة الأمة والسعي في جمع كلمة المسلمين وحصول التآلف بينهم وإزالة ما بينهم من التباغض والتشاحن والإحن. وأن هذا الأصل من أعظم معروف يؤمر به، وإضاعته^(٢) من أعظم منكر ينهى عنه، وأن هذا من فروض الأعيان اللازمة لكل الأمة علمائها وولاتها وعوامها؛ بل هي قاعدة لا يتم الإيمان إلا بها فتجب مراعاتها علمًا وعملاً، وإنها كان الأمر كذلك لما في ذلك من المصالح الدينية والدنيوية التي لا يمكن حصرها وفي إضاعته من المضار الدينية والدنيوية ما لا يمكن عدها فلذلك عقدت لهذا فصلين.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢١٢٦٠) عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ولكني بعثت بالحنيفية السمحة»، وأخرجه أحمد (٢٣٧١٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني أرسلت بحنيفية سمحة».

(٢) في الأصل (وتركه) وجاء في الهامش (وإضاعته صح).

فصل

في بعض مفاصد الاختلاف والتنازع

والتباغض والتهاجر ومضارها.

لا يستريب عاقل أن الله تبارك وتعالى لم ينهنا عن أمر من الأمور إلا وفيه من المفاصد العامة والخاصة ما أوجبته حكمته ورحمته.

فأول مضار التشاحن والتباغض والاختلاف إضاعة هذا الأصل العظيم ومعصيته الله ورسوله الموجب للعقاب وحرمان الثواب ونقصان الإيثار وحصول الحسرة والخسران وإهمال ما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومنها ما يترتب عليها من الاقتتال والاختصاص والموالاتة والمعاداة التي تجعل المسلمين فرقا كل فريق يريد نصرة قوله بحق أو باطل؛ فيحصل بذلك من ارتكاب الخطأ والضلال والهوى من المفاصد العامة والخاصة ما لا يعلمه إلا الله، ويترتب على ذلك ترك الحق الذي مع المنازع نصرة للهوى وبغضا للشخص الذي جاء به فيوجب له بغض ما معه من الحق ويحصل بسبب ذلك من الغيبة

والنميمة والسعاية ما هو من أكبر المعاصي، ويتحير مريد الهدى حسنُ القصد إذا كان قليل البصيرة فلا يهتدي لسييله، ولا يدري أي الطائفتين يتبعه في قيله.

ويجد سبب القصد المتبع لهواه مجالاً يجول فيه بأعراض العلماء والصالحين وولاية أمور المسلمين، فيتنسب بقوله لطائفة ويتلبس بلباسها على قلب منافق مكار مخادع، فيتوصل بذلك إلى مقاصده الخبيثة ويذر في قلوب من انتسب إليهم ما يقدر عليه من البذور التي تنتج الخزي والفضيحة، وليس الأسف على هلاك مَنْ هذا شأنه وهذا غاية قصده، فإنه بسبيل من هلك، وإنما الأسف كل الأسف لمن يُلقى إليه سمعه ويمكنه من قلبه ولبّه، ويصغي إليه ظاناً نصحه وهو في الحقيقة أكبر عدو غاش. هذا بعض ما أنتجه الاختلاف.

ومنها أنه يستدرج بالمفترقين إلى المباعدة والمهاجرة حتى لا يتعلم بعضهم من بعض ولا ينصح بعضهم بعضاً، فيضيع من المصالح التي هم بصدددها لو كانوا مجتمعين ما هو من أهم الواجبات وأكبر القربات وأجل الطاعات إلى غير ذلك من طمع أعدائهم بهم لتفريق كلمتهم وتشتت أمرهم.

فصل

في فوائد اتفاق المسلمين وتحابهم والسعي في ذلك

وهذا هو المطلوب المقصود الذي جرى الكلام لأجله، وهو المقصد الذي فيه يرغب المصلحون وإليه شمر المشمرون، وبه تنافس المتنافسون، ولمثله فليعمل العاملون لما اشتمل عليه من المصالح العظيمة والمهمات الجسيمة.

وبالجملة فجميع المفاصد التي ذكرت، والتي لم تذكر في مفاصد التهاجر والتباغض والتدابير بهذا الأمر تزول، وتصل بصاحبها إلى كل خير وتؤول، فيه تحصل الخيرات وتنزل البركات وتستجاب الدعوات وتبدل السيئات بالحسنات.

وباتفاق كلمة المسلمين يجتمع شمل الدين، ويحصل لهم بذلك في الأرض العز والتمكين، وبه يزيد الإسلام والإيمان؛ لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. والسعي في هذا من أكبر الطاعات فيزيد به الإيمان درجات وبالتآلف والاجتماع يحصل التعاون على جميع خصال البر والتقوى والخير قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّبْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ يَبْرِكُ النَّاسُ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من

درجة الصيام والقيام والصدقة ؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة»^(١)، وفي رواية: «لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين»^(٢).

فأي درجة أعظم من هذه الدرجة التي زاد بها على أمهات الفضائل الصلاة والصيام والصدقة، وقال النبي ﷺ: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»^(٣).

فرتب ﷺ دخول الجنة على وجود الإيمان، ورتب وجود الإيمان على حصول التحاب الذي هو سبب الائتلاف، ونبه على الدواء لهذا بإفشاء السلام، لأنَّ لين الكلام الذي من أجله إفشاء السلام من أكبر الدواعي لذلك.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣) وأبوداود (٤٢٧٣) وأحمد (٢٦٢٣٦) ومالك (١٤٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٣٤) وأحمد (١٣٣٨) (١٣٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٥٤)، وأبوداود (٥١٩٣) والترمذي (٢٦٨٨) وابن ماجه (٣٦٩٢) وأحمد (٩٠٧٣).

فصل

إذا عُلِمَ هذا فالواجب على المسلمين عموماً وعلى أهل العلم خصوصاً أن يسعوا في هذا الأمر، ويتحملوا من أجله المشاق ويدلوا جهدهم وطاقتهم في حصول التوادد وعدم التقاطع والتهاجر ويرغبوا غيرهم فيه امتثالاً لأمر الله وسعيًا في محبوه وطلبًا للزلفى لديه فيوطنوا أنفسهم على ما ينالهم من الناس من الأذية القولية والفعليه مع أنها ستقلب إن شاء الله راحة ومواصلة دينية.

ويقابلون المسيء إليهم بالعفو عنه والصفح وسلامة النفس ولا يعاملوه بما عاملهم به؛ بل إذا عاملهم بالبغض عاملوه بالمحبة وإن عاملهم بالأذى عاملوه بالإحسان، وإن عاملهم بالهجر وترك السلام عاملوه ببذل السلام والبشاشة ولين الكلام والدعاء له بظهر الغيب، ولا يطيعوا أنفسهم الأمارة بالسوء بمعاملته من جنس ما عاملهم به فليست هذه حالة الأنبياء وأتباعهم؛ بل حالهم العفو والصفح عن أهل الجرائم كما ذكر النبي ﷺ عن حال النبي الذي ضربه قومه حين دعاهم إلى الله حتى أدموه، فجعل يمسح الدم عن

وجهه، ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

هذا والله الفخر الكامل الذي يبني لصاحبه في الدنيا الثناء

الجميل، وفي الآخرة الثواب الجزيل قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

سَنَاءُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢]

ويحث على مقابلة المسيء بالعفو في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ صَبْرٌ لَهُوَ

خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

[البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَلَمَنْ

صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

فإذا وفق المسلمون لهذه الحالة جمع الله شملهم وألف بين

قلوبهم وهداهم سبيل السلام وأخرجهم من ظلمات الجهل والظلم

والضلال إلى نور العلم والعدل والإيمان.

ويجب عليهم إذا رأوا صاحب هوى يريد أن يشق عصا

المسلمين ويفرق بينهم لنيل غرض من أغراضه الفاسدة أن يقمعوه

وينصحوه ولا يلتفتوا لقوله، فإن من هذا حاله أكبر الأعداء.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧).

وأن يحرصوا غاية الحرص على ستر عورات المسلمين وعدم تتبعها؛ خصوصاً ما يصدر من رؤساء الدين والعلماء وطلبة العلم الذين لهم الحق الأكبر على جميع المسلمين بما قاموا به من علم الشرع وتعليمه، الذين لولاهم ما عرف الناس أمر دينهم ومعاملاتهم. فلولاهم لم يعرفوا كيف يصلُّون ويزكون ويصومون ويحجون؛ بل لا يعرفون يبيعون ويشترون؛ بل لولاهم لكان الناس كالبهائم لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا ولا عرفوا حلالاً ولا حرامًا فالواجب على المسلمين احترامهم وكفُّ الشر عنهم وقمع من يريدهم بأذى والتغاضي مما يصدر منهم بستره وعدم نشره لأن نشره فساد عريض.

واعلم أن للخير والشر علامات يُعرف بها العبد.

فعلامه سعادة الإنسان أن تراه قاصداً للخير لكافة المسلمين حريصاً على هدايتهم ونصيحتهم بما يقدر عليه من أنواع النصيح مؤثراً لستر عوراتهم وعدم إشاعتها قاصداً بذلك وجه الله والدار الآخرة. وعلامة شقاوة العبد أن تراه يسعى بين الناس بالغيبة والنميمة ويتتبع عثراتهم ويتطلع على عوراتهم، فإذا سمع بشيء صدر منهم من

المكروه أشاعه وأذاعه؛ بل ربما نشر معه شرًا من ابتداعه، فهذا العبد بشرٌ المنازل عند الله مقيت عنده متعرض لمساخطه يوشك أن يفضحه في دنياه قبل أخرائه إن لم يتدارك نفسه بالتوبة النصوح وتبديل السيئات بالحسنات.

فحقيق بمن لنفسه عنده قيمة أن يربأ بها عن هذه الخصلة الذميمة، ويتأمل معنى قوله ﷺ: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»^(١)، وقوله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»^(٢).

هذا الوعيد الشديد في عموم المسلمين، وأما العلماء والصالحون فالوقوع بهم أقبح وأقبح، وهو علامة على معاداة الله ومحاربه لأن الله قال على لسان رسوله ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) والترمذي (٢٩٤٥) وابن ماجه (٢٢٥)، وأخرج البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٨٠) والترمذي (٢٠٣٢).

آذنته بالحرب»^(١)، وقد قال بعض السلف: إن لم يكونوا العلماء أولياء الله فلا أدري من هم أولياؤه^(٢).

وصدق رحمه الله، فإن ولاية الله إنما تنال بحسب قيام العبد بأوامر الله تعالى، ولأهل العلم من هذا أكبر نصيب، فإنه لا يكاد ينال العبد طرفاً من العلم يصير فيه رئيساً حتى يجتهد ويجد ويمضي عليه زمن طويل وهو متجرد لطلب العلم تاركاً لما عليه أهل الدنيا مستغرقاً لأكثر أوقاته وأشرف ساعاته بالاشتغال بالعلم الذي هو بنفسه أجل الطاعات، وهم أخرى بولاية الله من غيرهم! فكيف يُمكن بالقدح فيهم من غلبت عليه الشقاوة وأفنى زمانه بالقليل والقال ولم يضرب مع الصالحين بسهم من نفائس الأعمال، فلا تراه باحثاً عن أمر دينه ولا مجالساً للعلماء على وجه الاستفادة منهم؛ بل لو سئل عن أدنى مسألة من أمر دينه لم ينطق ببيت شفته، ومع هذا

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) وابن ماجه (٣٩٨٩).

(٢) قال القاري: هو من كلام أبي حنيفة والشافعي، وأخرجه البيهقي عن الشافعي بلفظ: إن لم تكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة فما لله ولي. انظر: كشف الخفا

فقد أطلق لسانه بثلب العلماء وأهل الدين زاعماً فيما قاله إنه مصيب؛ نعم قد أصاب طريق أهل الشر، والتحق بالحيوانات الخسيسة التي تترك الأطعمة الطيبة وتذهب إلى الجيفة ونحوها من الأطعمة الخسيسة لتركه المحاسن وإقباله على ما ظنه مساوئ وانحرف عن طريق أهل الخير فليس بكفو أن يذكر معهم^(١)، وإنما يذكر لئلا يغتر به المغترون ويقع بشبكته الجاهلون، ولعله أن يرتدع ويتوب ويقنع

(١) قال ابن المبارك رحمه الله:-

«حق على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء والسلاطين والإخوان، فإنه من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته» رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٥١/١٧).

وقال ابن عساکر رحمه الله:-

«واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمراضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة وعادة الله في هتك أستار متقصيهم معلومة؛ لأن الوقعة فيهم بها هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم والاختلاف على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم»، انظر: تبين كذب المقتري (ص: ٢٨).

إلى ربه وينيب، فليس على طريق التوبة حجاب، ولا ذنب إلا وراءه
مغفرة الملك الوهاب لمن تاب وأناب.

فصل

ومن أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل العلم أن لا يجعلوا الاختلاف بينهم في المسائل الدينية التي لا يخرج المخالف فيها إلى البدع أو الشرك سبباً وداعياً إلى التفرق وتشيت القلوب وموجباً للقدح والطعن بسببها والموالة والمعادة عليها، فإن هذا ظلم وتعدي لا يحل بإجماع المسلمين، فما زال السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم يختلفون في مسائل الدين، ولا ينكر بعضهم على بعض ولا يوجب بعضهم على بعض أن يتبعه وإلا ضلَّه^(١). فإن هذه مرتبة لا تصلح إلا للرسول فهم الذين يضلُّ مخالفهم، وأما من

(١) قال ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٧٢/٢٤ - ١٧٣) «كان العلماء من

الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَنْزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩] وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين، نعم من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يُعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل أهل البدع».

عداهم^(١) فلم تضمن له العصمة.

ومن رحمة الله بعباده أن جعل اختلاف هذه الأمة رحمة لثيب

المصيب ويعفو عن المخطيء واتفاقهم حجة ونجاة وعصمة.

فالواجب على أهل العلم أن يبذلوا جهدهم بتحري الحق

والصواب، وأن لا يضللوا المخالف لهم مثلهم خطأ أو أصاب^(٢).

وهذا في جميع المسائل التي تعارضت فيها أقوال سلف الأمة بحسب

ما أداهم إليه اجتهادهم، وذلك مثل من يرى أن الماء لا ينجس إلا

بالتغير بالنجاسة لا يجوز له القدح فيمن يرى أن ما لم يبلغ قلتين

ينجس بمجرد الملاقاة وبالعكس، وكذلك من يرى أن الماء المستعمل

(١) في الأصل (عاداهم) وفي هامشه (لعله عداهم).

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٢٣/١٩): «ومذهب أهل السنة

أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ»، وقال رحمه الله (٦٩/٣٥): «وأما ما

اجتهدوا فيه فتارة يصيبون، وتارة يخطئون، فإذا اجتهدوا فأصابوا فلهم أجران

وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجر على اجتهدهم وخطؤهم مغفور لهم، وأهل

الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين، فتارة يغفلون فيهم ويقولون: إنهم

معصومون، وتارة يحفون عنهم ويقولون: إنهم باغون بالخطأ، وأهل العلم

والإيمان لا يعصمون ولا يؤثمون».

في رفع الحدث يصير طاهرًا غير مطهر لا يُضلل من يراه طاهرًا مطهرًا وبالعكس، ولا من يرى أن الصلاة في الثوب النجس ناسيًا تعاد على من لا يرى الإعادة وبالعكس، ولا من يرى وجوب صوم ليلة الثلاثين من شعبان في الغيم على من يرى استحباب الفطر أو إباحته ولا بالعكس، ولا من يبيح فعل النوافل ذوات الأسباب في أوقات النهي على من يمنعها وبالعكس، وأمثال هذه المسائل التي لم يزل [الخلاف] ^(١) فيها بين السلف وإلى الآن، فلا يحل لمن يرى أحد القولين فيها أن ينكر على غيره على وجه القدح به، فإن هذا ظلم لا يجوز؛ بل وظيفة أهل العلم في مثل هذه المسائل الخلافية أن يبينوا ما يرون أنه الصحيح بحسب قدرتهم بالدليل الشرعي الذي هو الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار بالقياس والحكم [وضعف العقل] ^(٢) [بالدليل الشرعي] ^(٣)، وأن يردعوا من جعل هذا الخلاف سُلًا للاختلاف لأنه بعيد عن الانصاف؛ نعم إن ظهر من أحد من

(١) في الأصل (الخلائق).

(٢) كلمة لم تتضح لي.

(٣) لعل في العبارة سقط، ولم يتضح المعنى لدي.

أهل العلم مخالفة بينة لدليل شرعي صريح، فإنه يجب نصحه، وبيّن له الدليل الشرعي بأقرب الطرق، ولا يجعل تأنيبه أو غيبته في المجالس بدلاً من نصحه، فليست هذه طريقة أهل الانصاف، بل طريقتهم النصيحة سرّاً وعدم إشاعة الفاحشة^(١).

وبالجملة فالواجب على أهل العلم وغيرهم السعي في معرفة الحق والاجتهاد في تنفيذه والعمل به والتعاون على ذلك، وأن يجب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه سواء وافقه أو خالفه، فكما أنه إذا وقع منه خطأ وزلل لم يجب اطلاع أحد عليه بل يحرص على ستر نفسه

(١) قال الشيخ عبدالرحمن السعدي في (الرياض الناضرة) (ص ١٠٩): «فإن أهل العلم الحقيقي قصدهم التعاون على البر والتقوى والسعي في إعانة بعضهم بعضاً في كل ما عاد إلى هذا الأمر وستر عورات المسلمين، وعدم إشاعة غلطاتهم والحرص على تنبيههم بكل ما يمكن من الوسائل النافعة والذّب عن أعراض أهل العلم والدين ولا ريب أنّ هذا من أفضل القربات ثم لو فرض أن ما أخطأوا فيه أو عثروا ليس لهم فيه تأويل ولا عذر لم يكن من الحق والإنصاف أن تهدر المحاسن وتمحى حقوقهم الواجبة بهذا الشيء اليسير كما هو دأب أهل البغي والعدوان، فإن هذا ضرره كبير وفساد مستطير أي عالم لم يخطئ وأي حكيم لم يعثر».

فكذلك ينبغي أن يتزل أخاه منه بهذه المنزلة، وأن يحمل ما يصدر منه على أحسن محمل، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن كان عمله مع إخوانه هكذا ستر الله عليه بأسباب يعلمها وأسباب لا يعلمها سترًا لا يحصل لمن لم يكن بهذه المثابة، فكما تدين تدان جزاءً وفاقاً^(١) فنسأل

(١) وللمؤلف الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله كما في الفتاوي السعدية (٦٣٢-٦٣٢) كلام جميل حول الموضوع أنقله هنا لعلاقته به وأهميته، قال رحمه الله: «ومن أهم ما يتعين على أهل العلم معلمين أو متعلمين السعي في جمع كلمتهم وتأليف القلوب على ذلك وحسم أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم، وأن يجعلوا هذا الأمر نصب أعينهم يسعون له بكل طريق لأن المطلوب واحد، والقصد واحد، والمصلحة مشتركة فيحققون هذا الأمر بمحبة كل من كان من أهل العلم، ومن له قدم فيه واشتغال أو نفع ولا يدعون الأغراض الضارة تملكهم وتمنعهم من هذا المقصود الجليل، فيحب بعضهم بعضاً ويذنب بعضهم عن بعض، ويبدلون النصيحة لمن رأوه منحرفاً عن الآخر، ويرهنون على أن النزاع في الأمور الجزئية التي تدعو إلى ضد المحبة والاتلاف لا تقدم على الأمور الكلية التي فيها جمع الكلمة، ولا يدعون أعداء العلم من العوام وغيرهم يتمكنون من إفساد ذات بينهم وتفريق كلمتهم، فإن في تحقيق هذا المقصد الجليل والقيام به من المنافع ما لا يعد ولا يحصى، ولو لم يكن فيه إلا أن هذا هو الدين الذي حث عليه الشارع بكل طريق، وأعظم من يلزم القيام به أهله، وأنه من

الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه، وأن يصلح أحوال المسلمين ويؤلف بين قلوبهم ويهديهم سبيل السلام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم.

أعظم الأدلة على الإخلاص والتضحية للدين هما روح الدين، وقطب دائرته... وفيه أيضًا من تكثير العلم، وتوسعة الوصول إليه، وتنوع طرقه ما هو ظاهر، فإن أهل العلم إذا كانت طريقتهم واحدة تمكن أن يتعلم بعضهم من بعض، وأن يعلم بعضهم بعضا، وإذا كان كل طائفة منهم منزوية عن الأخرى، منحرفة عنها انقطعت الفائدة، وحلَّ محلها ضدها من حصول البغضاء والتعصب والتفتيش من كل منها عن عيوب الطائفة الأخرى وأغلاطها والتوصل به للقدح وكل هذا منافٍ للدين والعقل، ولما عليه السلف الصالح حيث يظنه الجاهل من الدين...».

فائدة مهمة^(١)

اعلم أنه ينبغي للمعلم أن يفتح للمتعلمين باب البحث والمراجعة والانتقاء في المسائل العلمية، فإن في ذلك من المصالح الدينية ما لا يدخل تحت الحصر.

فمنها أن ذلك من باب التعاون على البر والتقوى لأن مصالح الدارين لا تتم إلا بالتعاون عليها، فالمسائل العلمية لا تتم إلا بذلك وهي بدونه في غاية النقص.

ومنها أن ذلك يوجب لهم التهذب والتدرب على المعارضة والاستدلال والترجيح والتضعيف فتتقد بذلك أفكارهم ويحصل لهم ملكة يقتدرون بها على الإيراد والجواب، فبالامتحان تنصل الأذهان.

ومنها أن في إهمال المعلم لهذا، وجبل المتعلمين على تلقي جميع ما يقوله بالقبول وعدم المعارضة له فيما تحققوا وظنوا أو شكوا فيه فيه غلقاً لباب الفائدة للمعلم والمتعلم.

(١) فائدة ملحقة بالرسالة.

أما المتعلم فظاهر، فإنه إذا لم يعارض ويبحث لم يهتد إلى الصواب إلا في المسائل الواضحة البسيطة، وأما المسائل التي تحتاج إلى تحرير وتقرير وجواب وإيراد فبايها عليه مسدود؛ بل ربما أن المتعلم الذي قد تقررت عنده، المسألة على صوابها إذا رأى معلّمه قد خالف ما عنده ولم تحصل منه المباحثة المذكورة قد يشك فيما علمه أو يعتقد خلاف ما ظنه من الصواب كما هو الواقع.

وهذه الحالة إذا استمر عليها المتعلمون خمدت أذهانهم وأفكارهم فيكون الذكي الفطن جامد الذهن خال القريحة، وذلك أن القوة المفكرة إذا لم تشتغل بالتفكير والتذكر وإعمالها فيما هي مهيئة له بطل عملها بمنزلة بقية الجوارح التي إذا توالى عليها السكون والكسل لم تنفع صاحبها وأسرع إليها الفساد، فإذا أعملت فيما هي مستعدة له ترتبت وازدادت وترقت على الدوام.

وأما غلقه لباب الفائدة عن المعلم فأظهر وأظهر، فإنه يسد على نفسه أبواباً وطرقاً من الخير قد كان يمكنه تحصيلها بأسهل شيء، فإنه إذا حصلت المباحثة والمراجعة المذكورة بينه وبين المتعلمين لم يعدم بذلك أن يستفيد منهم علماً حادثاً أو يتذكر علماً منسياً أو يتضح

له ما كان مشكلاً أو يتوقف بسبب ذلك عن قول كان مجزماً به على خلاف الصواب.

ومنها أنه يوجب له التيقظ والاحتراس فيما يقوله وينقله، فإنه إذا علم أنه إذا قال قولاً أو نقل شيئاً لم يعارض ولم يوقف بوجهه؛ بل يقبل على أي وجه كان تساهل في ذلك، فقال ونقل ما اتفق له غير مراعى للصواب، فيحصل منه الخطأ والغلط شيء كثير.

وإذا علم أنه يعارض تنبه وتحرز وتحري في قوله ونقله بحسب قدرته.

ومنها أنه يوجب له كثرة المطالعة والبحث والتفتيش والتنبيه لكل ما يخطر بباله أنه سيتكلم به.

ومنها أنه يتحسن بذلك خلقه، ويصير له ملكة لتحمل ما يرد عليه من الاعتراضات، فإن صاحب المنصب العالي على غير الذي يرد غيره تبعاً له لا يكاد يتحمل ممن دونه إذا عارضه؛ بل منصبه يوجب له النفرة من الاعتراض عليه ممن هو مثله أو فوقه؛ فكيف بمن هو دونه فيخاف عليه لسبب ذلك من رد الحق ونصر الباطل الذي يعلمه ويغلب هذا السبب ما هو عليه من الديانة كما هو

مشاهد.

ولهذا من أدب المعارض لمن هذه حاله إذا استبان للمعارض أن الصواب معه أن لا يكون ذلك بصورة المعارضة؛ بل بصورة السؤال والاسترشاد والتنبيه على الصواب بألطف الطرق التي توجب القبول، فإذا وُطنَ نفسه على حصول المعارضة وعدم المبالاة بها بل الحرص عليها، وأوعز^(١) للمتعلمين أن يعارضوه بما يرون أنه معارض لقوله تدرب بذلك وصار له ملكة قوية على ذلك بحيث لا يبالي بالمعارضة من صغير وكبير؛ بل قد تراه يقول القول في الملاء جازماً به ثم يظهر له عكس ما جزم به فييديه غير خجل ولا مكترث بل قصده الوصول إلى الحق والنصيحة للخلق، وحبذا حالة توصل العبد إلى هذا الخلق الذي لا يلقاه إلا ذو حظٍّ عظيم.

ومنها أن المعلم إذا هدَّب المتعلمين على هذه الطريقة الحسنة أو غيرها من الطرق الحسنة صار سبباً لاستمرار هذه الحال فيمن تعلم منهم وتربى بهم لأنهم يربونه على ما تربوا عليه فيحصل له من الخير

(١) في الأصل (وأوعز).

ما لا يعلمه إلا الله.

ومنها أنه يعرف بذلك مراتبهم ودرجاتهم في التحصيل ومعرفة مراتب الناس من أهم الأمور خصوصاً من له التدبير فيهم فإنه يحتاج، بل يضطر إلى ذلك لأجل عمله فيهم لأن عمله لا يتم إلا بتزليلهم منازلهم وإعطاء كل ما يستحقه.

ومنها أن ذلك يوجب الثقة بقوله لأن من وفق لهذه الحالة وفق للصواب.

وأما من سدَّ على نفسه هذا الباب، فقد حصل على غاية الحرمان من العلم والعمل والثواب والخطر العظيم بسبب سوء الخلق الذي يؤثر ما يؤثر وسوء التعليم وقلة النتيجة وعدم النصيحة التي هي أسس التعليم؛ بل أس كل عمل، والإعجاب بالنفس وعدم الثقة بقوله، وغير ذلك، فنسأل الله توفيقاً يوفقنا على الصواب ويصرفنا عن كل شر.

تم الكتاب، والحمد لله على يد معلقه الفقير إلى الله عبد الرحمن ابن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين اللهم صل على محمد وسلم (٦ جا ١٣٤٣).

الفهرس

٥.....	تقديم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل
٧.....	المقدمة
٩.....	صورة الصفحة الأولى من الرسالة
١٠.....	صورة الصفحة الأخيرة من الرسالة
١٣.....	بداية الرسالة
١٤.....	من أعظم الأوامر الإلهية
١٦.....	أعظم النصيحة للمسلمين
١٧.....	إشارة إلى سيرة الرسول ﷺ مع الخلق
	فصل: في بعض مفاسد الاختلاف والتنازع
٢٢.....	والتباغض والتهاجر ومضارها
٢٤.....	فصل: في فوائد اتفاق المسلمين وتحابهم والسعي في ذلك
٢٦.....	فصل: في السعي في جميع كلمة المسلمين
٣٣.....	فصل: في عدم جعل الاختلاف في المسائل الدينية سبب للفرقة
٣٩.....	فائدة مهمة للمعلمين والمتعلمين
٤٥.....	الفهرس

صدر للمحقق

- ١ - العقد المنظم في سيرة الشيخ عبدالله بن مسلم التميمي (تأليف).
- ٢ - الشيخ العلامة زيد بن محمد آل سليمان حياته وآثاره (تأليف).
- ٣ - رسالة في أحكام النكاح (١) للشيخ / سعيد بن حجي الحنبلي النجدي (تحقيق).
- ٤ - الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى (٢) للشيخ / سعيد بن حجي الحنبلي النجدي (تحقيق).
- ٥ - فصل الجواب عن استحقاق المتأخر فضل الصحاب (٣) للشيخ حسن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب (تحقيق).
- ٦ - الرسالة الدينية في معنى الإلهية (٤) للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (تحقيق).
- ٧ - فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان (٥) للشيخ / زيد بن محمد آل سليمان (تحقيق).
- ٨ - حقيقة الدعوة النجدية (٦) للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (تحقيق). (ملحقة بالرسالة الدينية).

سيصدر قريباً ... إن شاء الله تعالى

- ١ - علماء وقضاة حوطة بني تميم والحريق وقراها (الجزء الأول) (تأليف).
- ٢ - الكوكب الدرّي الجامع لرسائل ومسانل الشيخ سعيد بن حجي (٧).

